واحسرتاه عليك يا وطني !

عربيّ مشرّد غريب

لنا صديق قديم ، يحرّكُه في حياته إيمانُه وواجبُه ، ويَحْكُمُ خُطاه دينُه وفكرُه ، وما يراه من مصلحةِ أمّته وبلاده ، والإنسانية والإنسان ، ولكنه غَنِيُّ النفس أيضاً بالأحاسيس والمشاعر ، ولَرُبَّما غَلَبَتْ عاطفتُه أحياناً ففاضتْ بمثل هذه السطور والأبيات التي يطالعُها الإخوةُ القراء بعد هذه الكلمات ، وإن كانت عاطفتُه – مهما اشتدتْ وطَغَتْ – لا تُخْرِجُه عن الحقّ والعدل والمصلحة العليا ، ولا تكون إلاّ في خدمة الحقّ والعدل والمصلحة العليا

أرسل إلينا صديقنا القديم هذه السطور والأبيات ، لِتُنشر – إن لم نجد في نشرها بأساً – بتوقيع : « عربيّ مشرّد غريب » .

ونحن لا نرى في نشرها ، ولا في نشرِ أمثالِها الحينَ بعدَ الحين بأساً ، وإن اسْتَعْلَنَتْ فيها العاطفةُ أو طَغَتْ ، ما دامت عاطفةً كريمة صادقة ؛ فالأمّة التي تَجِفُّ فيها العواطف ، وتنطفئ فيها الأحاسيسُ والمشاعر ، وتَخْمُدُ فيها الدوافع والحوافر ، لا تنهضُ ، ولا تستطيع النهوض ، ولا القيامَ بجلائل الأعمال ؛ بل لا تستطيع الاستمرارَ الفاعل في الحياة

نحن إذن ننشر هذه السطورَ الشاكية الساخطة الحزينة للعربيّ المشرّد الغريب شاكرين ؛ وإن كنا لا نقبل التشاؤم ، ولا ما يَشي أو يوهم ولو بشيْءٍ يسير من اليأس ؛ فاليأس في ديننا كُفر ، ورسالتنا أبداً رسالةُ أملٍ وعمل ، وثقة باللهِ وبالمستقبل ، مهما غامتِ السماء ، واكْفَهَرَّ الجوُّ ، واشتدّتِ الظروف

« الرائد »

يزدادُ شوقي إلى وطني كلما تقدمتْ بِيَ السِّنّ
يزداد شوقي إلى وطني كلما ضَعُف منّيَ الجسم

يزداد شوقي إلى وطني كلما أوحشتْني الغُرْبة

أشتاقُ أهلي وإخواني وَصَحْبِي ، الذين تركتُ عندهم عندما رَحَلْتُ ، أو رُحِّلْتُ ، قِطَعاً من قلبي

ويشتدّ شوقي إليهم كلّما رحلَ منهم من هذه الدنيا راحل ، أو اعْتَلَّ منهم عَليل ، أو نَزَلَ بأحد منهم خَطْب ؛ وما أكثرَ ما رحل منهم راحلون! وما أكثرَ ما اعتلّتْ منهم جُسوم ونُفوس! وما أكثرَ ما نزل بهم وبأحبابهم من نَوازِل!

أشتاقُ مَلاعبَ طفولتي ، ومراتعَ صِبايَ ، ومَنَابِتَ مَشاعِري ومَطامِحي ، ومَسارِحَ أفكاري وأعمالي

أشتاقُ خِدْمةَ أهلي وبلدي ووطني بما اخْتَزَنَ لهم قلبي من الحبّ ، وبما اجتمع عندي مِنَ المعرفةِ والخبرة ، وبما حلَمْتُ لهم به في لَيَالِيَّ ونُهُرِي من حُلُم ، وأَمَّلْتُ لهم من أَمَل ، ورجوتُه لهم من نهضةٍ وتقدّمٍ ، ومكانٍ كريم في هذه الدنيا

أشتاقُ وأشتاقُ وأشتاقُ ، ويُرْمِضُني الشَّوْقُ ، فأحترقُ بنارِ الشّوْقِ وأنا أُردِّدُ معَ المتنبي قولَه الصادق :

وَمَا صَبَابَةُ مُشتاقٍ على أَمَلٍ من اللّقاءِ كَمُشْتاقٍ بِلاَ أَمَلِ

ويلٌ لِلْحكام المغتصبينَ المستبدِّينَ الظالمينَ الفاسدينَ المفسدينَ الذين قتلوا أو سَجنوا أو شَرّدوا أبناء بلادهم ، وكلَّ من عارضَهم ، في كلِّ أرْض ، وسدُّوا على من طال بِهِمُ التشرُّدُ ، وقَسَتْ عليهم الظروفُ ، وَضاقتْ بِهِمُ المنافي ، أو ذوَّبَهم إلى أوطانهم الحنينُ .. سبيلَ العودةِ الكريمة

ويلٌ للحكام المغتصبينَ المستبدّينَ الظالمينَ الفاسدينَ المفسدين الذين يستعبدون شعوبَهم ويُذِلُّونها ، ويَحكمونَها بالحديدِ والنار ، والتهديدِ والوعيد ، وأجهزةِ التجسُّس والمباحثِ والمخابرات ، ويَصْرِفونَها ، راضيةً أو كارهةً ، عن وعْيِ واقعِها ، وإدراكِ واجبها ، والاهتمام بمصائرها ، ويَشْغلونَها عن الجدِّ في أمرها ، والعمل الحقيقيِّ لحاضرِها ومستقبلِها ، بألوانِ اللهو والفساد ، وأصنافِ الصغائرِ والتفاهات ، والركضِ الركض وراءَ الشحيحِ من الرزق

ويلٌ ثمّ ويلٌ للحكام الطغاة الذين عَدَوْا على هذه الأمة والبلاد فمزّقوا وحْدَتَها ، وداسوا حرّيّتها وكرامتَها ، ونهبوا تُراثَها وثروتَها ، وحَوّلوها إلى مزارعَ خاصّةٍ لهم ولأسرهم ، ولأزلامهم وأتباعهم ، وحَوّلوا أبناءَها إلى عبيد وأقْنان ، وجعلوها في ذيل القافلة الإنسانية ، وهبطوا بها سياسيّاً واقتصاديّاً واجتماعيّاً وأخلاقيّاً وثقافيّاً ، وفي كلّ مجالٍ يخطر بالبال ، إلى أحطّ دركات الذلّ والهوان ، وهم يجدون مع ذلك من الضّعةِ في النفوس ، ومن الرياءِ والنفاق في الأخلاق ، أو من الجهلِ والغفلة ، أو حُسْنِ الطَّوِيَّة وتوهُّمِ المصلحة ، مَنْ يرفعهم – كذباً على نفسه وعليهم ، وعلى الحقائقِ والوقائعِ الملموسة – إلى مراتب دونَها – أحياناً – أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ ، وخالد وطارق ونور الدين وصلاح الدين !!

أمَا آنَ لنا ، ولأُمّتنا وبلادنا ، أن نتجاوز هذه المهازل المضحكة المبكية ؟!

أليس لهؤلاء الحكام السادِرينَ في ضلالاتِهم وسخافاتِهم وغَيِّهم غافلُ ضمير يستيقظ ؟!

ولهؤلاء المرائين المنافقين المطبّلينَ المزمّرين حياءٌ يردع ؟!

ولهذه الشعوب المهينة المسكينة المعذّبة كرامةٌ تأبى وترفض ؟!

واحسرتاه عليكَ يا وطني!

واحسرتاه عليكِ يا أمتي التي فارَقَتْها – أو أوشكتْ تفارقُها – الحياة

ويا خجلتاه من ماضٍ مجيد مجيد ، وآمال – كانت لنا – كبار كبار ، وعالَمٍ وعصرٍ حَيّ متحرّك ينظر إلينا بإشفاق واحتقار ، وأجيالٍ وأجيالٍ قادمة من الأبناء والأحفاد لا نُخَلِّف لها إلاّ التخلّفَ والبؤسَ والعار !!

بين الكرامة والشوق

وَحَالُوا وَحَالُوا دُوْنَ قَلْبِي وَحُلْمِهِ ... وَحَالُوا وَحَالُوا دُوْنَ حَقِيّ وَمَوْطِنِي

يُذَوِّبُنِي شَوْقِي لأَهْلِي وَمَنْزِلِي ... وَيَأْبَى لِيَ الإِيْمَانُ عَوْدَةَ مُذْعِنِ

صَبَرْتُ عَلَى وَقْدِ الْفِرَاقِ وَلَذْعِهِ ... وَهَيْهَاتَ يَفْنَى الْصَبْرُ فِي قَلْبِ مُؤْمِنِ

سَمَوْتُ عَلَى حُلْوِ الْحَيَاةِ وَمُرِّهَا ... وَأَسْلَمْتُ أَمْرِي لِلْعَزِيزِ الْمُهَيْمِنِ

وَمَا هَذِهِ الْدُنْيَا بِغَيْرِ كَرَامَةٍ ... سِوَى جِيفَةٍ أَهْوِنْ بِهَا ثُمَّ أَهْوِنِ

العربي المشرّد الغريب